جهود علماء المالكية في الذب عن الصحابة وآل البيت ﷺ من خلال مصادرهم

أ.د. محمد رشيد بوغزالة
أستاذ بقسم الشريعة - معهد العلوم الإسلامية، عضو مخبر الدراسات الفقهية والقضائية،
جامعة الوادي – الجزائر

مقدمة

الحمد لله، ذي العزّ والجلال، الكبير المتعال، المتصف بصفات الكمال، يجادل فيه أهل الضلال، وهو سبحانه شديد المحال، خلق الخلق، وأرسل الرسل، من اتبعهم اهتدى وفاز بالثواب، ومن أعرض ضلّ وخسر وخاب، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمّدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه ﷺ، وبعد؛

فإن من منن الله ﷻ على خلقه أن بعث فيهم الرسل –صلى الله عليهم وسلم- مبشرين ومنذرين، ليهدوهم إليه ﷻ وليعبدوه وحده دون ندّ أو شريك، وكان من سننه في الخلْق أن يكون لرسله أتباع مقربون هداة مهتدون، كما قدّر أن يكون لهم عصاة مبغضون أعداء معتدون.

والله ﷻ يختصّ برحمته من يشاء، ويمنّ بفضله على من يشاء؛ وكان من لطائف رحمته بهذه الأمة، أن جعلها خير أمة أخرجت للناس، ومن عظائم مننه وفضله عليها أن اختصّها بخير الرسل وخاتمهم ﷺ؛ وجعل له "آل" أكرمهم بالقرْبى، وأحاطه بجنْد اختصّهم "بالصحْبة"، وأوجب لهم جميعا على من بعدهم حقّ المحبّة وحفظ الحرمة، إلا أنّ سنة المساجلة بين الحقّ والباطل قائمة إلى أن يشاء الله، فما يفتأ المبطلون يفترون ويطعنون ولا يفلحون، ولا يهنأ الصادقون إلا وهم يذبّون ويذودون وهم مأجورون.

فالله ﷻ تعبّدنا بمحبة النبيّ ﷺ وآل بيته وصحبه ما دامت السموات والأرض، ومضى على ذلك هدي العدول في خير القرون، ولما استشرت الفتن ودبّ الخلاف بدأت الأهواء تزيغ في قلوب كثير من الناس، ولا همّ لهم إلا إذاية المؤمنين، وأيّ إذاية لما يطال البهتان من نزل بعدالتهم القرآن، بل اتخذ كثير من أهل الأهواء ذلك دينا يقتفى.

ولا يختلف المختلفون أنّ مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس –رحمه الله- هو من مذاهب أهل السنة والجماعة التي أرست قواعد الاتّباع وهتكت ستر الابتداع، عايش المذهب كثيرا من الحوادث والبدع منذ النشأة الأولى عبر تاريخه، في المشرق والمغرب، ولعلّ من أخطر تلك الحوادث والبوائق هي بدعة الطعن والثّلب في آل الرسول ﷺ والصحْب الكرام ﷺ، وهنا نتساءل: **إذا كنا قد سلّمنا بوجود بدعة الطعن في الصحب والآل ﷺ، هلْ قاوم مذهب الإمام مالك هذه البدعة المضلّلة؟ وإذا كان قد قاومها أين تبرز معالم النقض لهذه البدعة ؟**

وقد اجتهدت في هذه الورقة البحثية أن أجيب عن هذا التساؤل بمنهج وصفي للمفاهيم وتحليلي للمسائل والمقولات، واستقرائي في مصادر المذهب.

وقد قسمت الموضوع إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول– التعريف باصطلاحات البحث

المبحث الثاني- منزلة آل البيت والصحابة ﷺ في المذهب المالكي

المبحث الثالث- الذبّ عن الآل والصحب في مصادر المذهب

المبحث الرابع- التراث المالكي المفْرد في الذبّ عن الآل والصحب ﷺ

أسأل الله -جلّ في علاه- أن يتقبل منا أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم،

وآخر دعوانا أن الحد لله ربّ العالمين

المبحث الأول- التعريف باصطلاحات البحث

المطلب الأول- التعريف بالمذهب المالكي

تعريف المذهب المالكي: عرفه القرافي في جواب عن سؤال في تعريف المذهب فقال : ما اختص به من الأحكام الشرعية الفروعية الاجتهادية، وما اختص به من أسباب الأحكام، والشروط، والموانع، والحجاج المثبتة لها[1].

وعلى نحو هذا التعريف عرفه البعض فقال المراد بالمذهب المالكي : ما ذهب إليه الإمام من الأحكام معتمدة كانت أو لا[2].

وقد لاحظ بعض المتأخرين من الفقهاء أن هذا الفهم لمسمى المذهب يُضيِّق دائرة الأقوال والآراء الفقهية التي تندرج تحت مظلته، لأنه يخرج أقوال تلاميذ الإمام، والاجتهادات الفقهية والتخريجات لمن جاء بعدهم من أتباع مذهب الإمام من المتقدمين والمتأخرين فوسّعوا مفهوم المذهب المالكي على أساس هذا الاعتبار، لذا عرفه العدوي فقال: المراد بمذهبه : ما قاله هو وأصحابه على طريقته، ونسب إليه مذهبا، لكونه يجري على قواعده، وأصله الذي بُنِي عليه مذهبه، وليس المراد ما ذهب إليه وحده دون غيره من أهل مذهبه[3].

والمالكي؛ نسبة إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله-.

وهو: أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، الإمام المشهور.

قيل هو المقصود بحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:« يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالما أعلم من عا لم المدينة»[4].

قال الذهبي: وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره: **أحدها** طول العمر وعلو الرواية, **وثانيتها** الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم, **وثالثتها** اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية، **ورابعتها** تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن, **وخامستها** تقدمه في الفقه والفتوى, وصحة قواعده. توفي سنة 179هـ[1].

---

1 – القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، تحقيق عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1938م، ص 200.

2 – النفراوي، أحمد بن غانم بن سالم بن مهنا، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ – 1995م، ج1 ص 24.

3 – العدوي، علي الصعيدي، حاشية على شرح الخرشي على مختصر خليل، دار المعرفة، بيروت، د ت، ج1 ص 35.

4 – رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم، ج1 ص 168، ح "307"، والترمذي وحسّنه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في عالم المدينة، ج5 ص 47، ح "2680"، وأحمد في المسند، ج 13 ص 358، ح "7980".

المطلب الثاني: التعريف بمصطلح الصحابي في المذهب المالكي

- الصحابي لغة:

من صَحِبَ صَحبةُ صُحْبة وصَحابة وصِحابة، وصَاحَبه عَاشَره، والصحْب جمع الصاحب مثل رَكْب وراكب، واستصحبه: طلب صحبته أي ملازمته. والجمع صحْب وأصحاب وأصاحيب وصحبان وصحاب وصِحابة وصَحابة[2].

الصحابي في اصطلاح مذهب الإمام مالك:

عرفه العلامة أبو الحسن المالكي بقوله: وهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلما ثم مات على الإسلام[3].

قال العدوي: وقوله: "مات على الإسلام" احترز بذلك مما إذا اجتمع به مؤمنا ثم مات مرتدا كعبد الله بن خطل فليس بصحابي باتفاق[4].

وقال بعضهم: الصحابي هو: كل من اجتمع به في حياته بعد البعثة وهو مؤمن[5].

وعرفه آخرون: الصحابي من اجتمع مؤمنا بمحمد ﷺ وإن لم يرو عنه ولم يطل اجتماعه به.

ويدخل بقيد "اجتمع" الأعمى. وعبّر بعضهم بـ "لقي" ليدخل مَن حنّكه، أو من مسّه ﷺ من الصبيان، واختاره الإمام الحطاب[6].

وينبني على هذا التعريف النظر في بقاء صفة الصحبة للذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ ثم رجعوا إلى الإسلام مثل: قُرة بن هبيرة العامري ، وعلقمة بن عُلاثة ، والأشعث بن قيس ، وعيينَةَ بن حصن ، وعَمْرو بن معديكرب. ففي صحبتهم نظر.

وكذا في صحبة من لقي النبي ﷺ مُسلماً ثم ارتدَّ ثم أسلَم بعد وفاة الرسول ﷺ. قال العلامة حلولو: وفي صحبته نظر كبير.

وكذا من ارتدّ في حياة الرسول ﷺ ورجع إلى الإيمان بعد وفاته ﷺ فإن الخلاف صحبته يجري على الخلاف في الردة ؛ هل تحبط العمل بنفس وقوعها، أو إنما تحبطه بشرط الوفاة عليها ؛ لأن صحبة الرسول ﷺ فضيلة عظيمة ، أما قبول روايته بعد عودته إلى الإسلام ففيها نظر[7]، واختار العلامة التتائي المالكي نفي صحبتهم لأن الردة في نفسها محبطة للعمل[8]، قال العدوي: وهو مشهور مذهبنا[1].

=

1 - الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1 ص 157.

2 - المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ابن سيده)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، مقلوب "حصب"، ج 3 ص 167، وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة "صحب"، ج 1 ص 519، والزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (مرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، ج 3 ص 185.

3 - المالكي، أبو الحسن، كفاية الطالب الرباني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق يوسف الشيخ محمد بقاعي، دار المعرفة، بيروت، ج 1 ص 145.

4 - العدوي، علي الصعيدي، حاشية على كفاية الطالب الرباني، دار المعرفة، بيروت، ج 1 ص 145.

5 - الصاوي، أبو العباس أحمد بن محمد، بلغة السالك لأقرب المسالك –حاشية الصاوي على الشرح الصغير للدردير، دار المعارف، د ت، ج 1 ص 13.

6 - الحطاب، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط3، 1412 هـ - 1992 م، ج 1 ص 22.

7 - التونسي، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع،، تونس، 1997م، ج 2 ص 335.

8 - العدوي، حاشية على شرح الخرشي، ج 1 ص 29.

– أما من ارتد في حياة النبي ﷺ ورجع إلى الإسلام في حياته، وصَحِبه، ففضل الصحبة حاصل له مثل: عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح[2].

المطلب الثالث التعريف بآل البيت في اصطلاح المذهب المالكي

تعريف الآل:

لغة: – قال ابن فارس في باب **"أول"**: الهمزة والواو واللام أصلان؛ ابتداء الأمر وانتهاؤه. و**"الآل"** تعود إلى الأصل الثاني من آل يؤول أي رجع، وآلُ الرَّجُلِ أَهلُ بيتِهِ من هذا أَيضاً؛ لأنه إليه مآلُهم وإليهم مآلُه[3].

– وقال في لسان العرب هي من باب **"أهل"**؛ وآلُ الرجل أَهْلُه، وآل الله وآل رسوله أَولياؤه؛ أَصلها **"أَهل"** ثم أُبدلت الهاء همزة؛ فصارت في التقدير أَأْل، فلمّا توالت الهمزتان أَبدلوا الثانية أَلفاً ،كما قالوا: آدم وآخر، وفي الفعل: آمَنَ وآزَرَ[4].

و **"الآل"** هو جمع في المعنى، فرد في اللفظ؛ يطلق بالاشتراك اللفظي على ثلاثة معان: **أحدها** الجند والأتباع نحو " آل فرعون "، **والثاني** النفس نحو " آل موسى " و " آل هرون " و " آل نوح "، **والثالث** أهل البيت خاصة نحو " آل محمد "[5].

– **الفرق بين الأهل والآل:** أن الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص؛ فمن جهة النسب قولك: أهل الرجل لقرابته الأدنين، ومن جهة الاختصاص قولك: أهل البصرة وأهل العلم، والآل خاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة؛ تقول: آل الرجل لأهله وأصحابه، ولا تقول: آل البصرة وآل العلم. وقالوا: آل فرعون؛ أتباعه، وكذلك آل لوط.

وقال المبرد: إذا صغرت العرب الآل قالت أهل، فيدل على أن أصل الآل الأهل، وقال بعضهم: الآل عيدان الخيمة وأعمدتها، وآل الرجل مشبهون بذلك لأنهم معتمده، والذي يرفع في الصحارى آل لأنه يرتفع كما ترفع عيدان الخيمة، والشخص آل لأنه كذلك[6].

الفرق بين الآل والذرية: آل الرجل: ذو قرابته، وذريته: نسله.

فكل ذرية آل، وليس كل آل بذرية.

وأيضا: الآل يختص بالأشراف، وذوي الأقدار، بحسب الدين، أو الدنيا.

=

1 – العدوي، حاشية على كفاية الطالب الرباني، ج 1 ص 145.

2 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2 ص 336.

3 – ابن فارس، أبو الحسين أحمد الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1399 هـ – 1999 م ، كتاب الهمزة، باب الهمزة والواو وما بعدهما في الثلاثي، ج 1 ص 158 – 160.

4 – ابن منظور، لسان العرب، مادة "أهل"، ج 11 ص 28.

5 – الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكلّيات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت – لبنان، ط 1، 1419 هـ – 1998 م، ص 242.

6 – العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، 1412هـ، ص 85.

فلا يقال: آل حجام، وآل حائك، بخلاف الذرية[1].

– **الفرق بين العترة والآل**: أن العترة على ما قال المبرد: "النصاب ومنه عترة فلان أي منصبه"، وقال بعضهم: "العترة أصل الشجرة الباقي بعد قطعها قالوا فعترة الرجل أصله"، وقال غيره: "عترة الرجل أهله وبنو أعمامه الأدنون"، وقال آخرون: هي نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى.

فهي مفارقة للآل على كل قول لأن الآل هم الأهل والأتباع، والعترة هم الأصل في قول والأهل وبنو الأعمام في قول آخر[2].

اصطلاح آل بيت النبيّ ﷺ في المذهب المالكي:

– لا يختلف أهل العلم في أنّ أزواجه أمهات المؤمنين وذريته من أهل بيته ﷺ[3]، لقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[4].

– لا خلاف في مذهب الإمام مالك –رحمه الله– أن بني هاشم هم من آل النبيّ ﷺ، وأنهم المقصودون بقوله ﷺ: « **إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد** »[5]، وهم كل من يلتقي مع النبي ﷺ في هاشم أبي جده، فبنو هاشم هم ولد عبد المطلب من بني هاشم، ما تناسلوا، وإن بعدوا: آل عباس وآل علي وآل جعفر وآل عقيل، إذْ لم يعقب أحد من ولد هاشم سوى عبد المطلب. قال ابن رشد الجد: وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم[6]. ودليلهم: حديث واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم** »[7].

– ونقل عن بعض أهل المذهب أن آل البيت هم بنو هاشم وبنو عبد مناف كلهم ما تناسلوا، وإن بعدوا. وهذا القول منقول عن أصبغ بن الفرج، واستدلّ له ابن رشد[8] بحديث أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله صلى الله عليه و سلم

---

1 – العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص 6.

2 – الكفوي، كتاب الكليات، ص 1046، والعسكري، معجم الفروق اللغوية، ص 350 – 351.

3 – القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ – 2003م، ج 9 ص 71.

4 – سورة هود، من الآية: 73.

5 – صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة، ج 2 ص 752، ح "167".

6 – القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، مسائل أبي الوليد بن رشد (الجد)، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت – دار الآفاق الجديدة، المغرب، ج 1 ص 333.

7 – رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ج 4 ص 1782، ح "2276"، والترمذي، أبواب المناقب، باب فضل النبي ﷺ، ج 6 ص 5، ح "3605".

8 – ابن رشد، مسائل أبي الوليد، ج 1 ص 334.

حين أنزل الله: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[1]. قال : « **يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا...**»[2].

– وذهب أصبغ بن الفرج إلى أنهم بنو هاشم، وبنو عبد مناف، وبنو قصي وبني كلاب وبنو مرة وبنو كعب وبنو لؤي وبنو غالب. واستدل بحديث ابن عباس ﵄ قال: لما أنزل الله ﷻ على النبي ﷺ : ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾، خرج حتى علا المروة ثم قال: « **يا آل فهر...يا آل غالب... يا آل لؤي بن غالب... يا آل كعب بن لؤي... يا آل مرة بن كعب... يا آل كلاب بن مرة... يا آل قصي... يا آل عبد مناف...**»[3].

– ولا خلاف في المذهب كذلك أن ما فوق غالب بن فهر لا يعدون في آل البيت.

– أما بنو المطلب أخو هاشم فليسوا من آل البيت على الراجح في المذهب[4].

– واختلفوا كذلك في الموالي هل يعدّون في آل البيت أم لا؟ فالمعتمد في المذهب أن موالي أهل البيت منهم لحديث أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: « **مولى القوم من أنفسهم** »[5].

واختار ابن القاسم خلافه[6]. وعدّ القرطبي هذا القول من الشذوذ[7].

– ونقل القرطبي عن جماعة بأن المقصود بـ "آل محمد" أزواجه وذريته خاصّة[8].

– وقد ذكر أبو الوليد بن رشد سبعة أقوال لأهل العلم في تحديد المقصود بأهل البيت[9].

المبحث الثاني- منزلة آل البيت والصحابة ﵃ في المذهب المالكي

المطلب الأول: تعظيم آل البيت والصحابة من مسائل الاعتقاد

نال آل البيت والصحابة الكرام ﵃ منزلة كبيرة في مذهب الإمام مالك –رحمه الله– حتى باتت حرمتهم من مسائل الاعتقاد، وصار أئمة المذهب يدرجونها فيما يجب اعتقاده من الأمور، بحيث إن من خالف هذا الاعتقاد عدّ من

1 – سورة الشعراء، الآية: 214.

2 – صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الشعراء، ج 4 ص 1787، ح "4493"، ومسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾، ج 1 ص 192، ح "384".

3 – البصري، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1410هـ – 1990م، ج 1 ص 61.

4 – الدردير، أبو البركات، أقرب المسالك مع حاشية الصاوي عليه، ج 1 ص 659.

5– من حديث أنس بن مالك ﵁ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب مولى القوم من أنفسهم وابن الأخت منهم، ج 6 ص 2484، ح "6380"، ومن حديث أبي رافع ﵁ مرفوعا، رواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب الصدقة على بني هاشم، ج 2 ص 123، ح "1650"، وأحمد في "المسند"، ج 39 ص 289، ح "23863".

6 – المهدوي، أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي، التنبيه على مبادئ التوجيه، تحقيق محمد بلحسان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ – 2007م، ج 2 ص 857.

7 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8 ص 191.

8 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1 ص 382.

9 – ابن رشد، مسائل أبي الوليد، ج 1 ص 334 – 336.

أهل الضلال، واستقرّ المصنفون من أئمة المذهب على تثبيت هذه العقيدة في منفاتهم، بل يثبتونه في مقدماتهم أو في خواتيم كتبهم الفقهية فضلا عن كتبهم في العقيدة، ونحن نثبت بعضا من ذلك مما اشتهر من النماذج عبر تاريخ المذهب.

من ذلك ما أدرجه العلامة ابن أبي زيد القيرواني في رسالته في باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات ؛ فقال: "**وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب..**"[1].

– وقال ابن أبي زمنين المالكي في باب محبة أصحاب النبي ﷺ : "ومن قول أهل السنة أنْ يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم"[2].

ويقول تلميذه الإمام المقرئ أبو عمرو عثمان الداني: "**ومن قولهم –أي أهل السنة– أن يحسن القول في السادات الكرام، أصحاب محمد عليه السلام، وأن تذكر فضائلهم، وتنشر محاسنهم، ويمسك عما سوى ذلك مما شجر بينهم... ويجب أن يلتمس لهم أحسن المخارج، وأجمل المذاهب، لمكانهم من الإسلام، وموضعهم من الدين والإيمان، وأنهم أهل الرأي والاجتهاد، وأنصح الناس للعباد**"[3].

وقال القاضي الباقلاني في الإنصاف[4]: "ويجب أن يعلم: أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم من المشاجرة نكف عنه، ونترحم على الجميع، ونثني عليهم، ونسأل الله تعالى لهم الرضوان، والأمان، والفوز، والجنان. ونعتقد أن علياً عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران. وأن الصحابة ﷺ إنما صدر منهم ما كان باجتهاد فلهم الأجر، ولا يفسقون ولا يبدعون والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [سورة التوبة، من الآية: 100] وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ ﴾ [سورة الفتح، الآية: 18].

وقال العلامة خليل بن إسحق في "كتابه الجامع"، في باب ما يجب على المرء من التكاليف: وأنّ خيْر القرون القرْن الذين رأوْا رسول الله ﷺ وآمنوا به، ثمَّ الذين يَلُونهم ثم الذين يَلُونهم[5]، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهْديون :

1 – القيرواني، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، الرسالة، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ت، ص 9.

2 – الإلبيري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري المعروف بابن أبي زمنين، أصول السنة، تحقيق عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط1، 1415هـ، ص 263.

3 – الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تحقيق دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد، الكويت، ط 1، 1421هـ – 2000م، ص 237 – 238.

4 – الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط2، 1382هـ، ص 67.

5 – عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم... ». (البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أصحاب النبي ﷺ، ج 3 ص 1335، ح "3451"، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم..، ج 4 ص 1963، ح "2533").

=

أبو بكر ثم عمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ رضي الله عنهم أجمعين، ثمّ الصحابة العشرة، ثمَّ أهل بدْر، ثمّ سائر الصّحابة، وينبغي أنْ يُلتَمس لهم أحْسن المخارج، ويُظنّ بهم أحسن المذاهب، ولا يُذْكر أحدٌ من صحابة رسول الله ﷺ إلاَّ بأحْسن الذّكر[1].

المطلب الثاني: مراتب الصحابة عند أئمة المذهب

ليس التفضيل بين الصحابة مما أوجب الله تعالى على المكلف اكتسابه أو اعتقاده ولا الخوض فيه، بل لو غفل عن هذه المسألة مطلقا لم يقدح ذلك في دينه، ويراها القاضي أبو بكر الباقلاني مسألة اجتهاد، بحيث لو أهمل أحد العلماء النظر فيها أصلاً حتى لم يعرف فاضلاً من مفضول ما حرج ولا أثم، بخلاف سائر الأصول التي الحقّ فيها واحد، ويقطع على خطأ المخالف، وهذه لا يقطع فيها على خطأ من خالف من المجتهدين[2]. لكن متى خطرت بالبال أو تحدث فيها باللسان، وجب الإنصاف، وتوفية كل ذي حق حقه، ويجب الكف عن ذكرهم إلا بخير[3].

ومع ذلك خاض كثير من أئمة المذهب المالكي فيما خاض فيه أهل السنة والجماعة في الكلام في مراتب الصحابة الكرام والمفاضلة بينهم، ونقل ذلك عن إمام المذهب مالك بن أنس، وكبار أئمة المذهب من بعده؛ فيما مال آخرون إلى التوقف عن المفاضلة بينهم؛ قال الإمام أبو عبد الله المازري المالكي[4]: وأما تفضيل الصّحابة بعضهم على بعض فقد ذهبت فرقة إلى الإمساك عن هذا، وأنه لا يفضَّل بعضهم على بعض، وقالت: هم كالأصابع في الكفّ فلا ينبغي أن يتَعَرَّض للتّفضيل بينهم. وقال مَن سِوَى هَؤلاَء بالتَّفضِيل.

أولا- مراتب الصحابة عند إمام المذهب

اختلف النقل عن الإمام مالك –رحمه الله– في مسألة التفضيل بين الصحابة ﷺ؛

- فنقل عنه أن توقف في مسألة التفضيل بينهم مطلقا[5].

=

قال ابن عبد البر في قوله ﷺ : « خير الناس قرني » ليس على عمومه؛ بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول؛ وقد جمع قرنه مع السابقين من المهاجرين والأنصار جماعة من المنافقين المظهرين للإيمان، وأهل الكبائر الذين أقام عليهم أو على بعضهم الحدود.... وأن قوله: « خير الناس قرني » أنه لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص... وإن قرنه إنما فضل لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم، وإن آخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين، وتمسكوا به، وصبروا على طاعة ربهم في حين ظهور الشر والفسق والهرج والمعاصي والكبائر، كانوا عند ذلك أيضا غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمن كما زكت أعمال أوائلهم". (ابن عبد البر، التمهيد، ج 20 ص 250 – 252).

1 – انظره ضمن: الكتب الجوامع بتحقيقنا، الدار المالكية، بيروت – تونس، ط 1، 2013هـ، ص 279 وما بعدها.

2 – اليحصبي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحي إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط1، 1419هـ - 1998م، ج 7 ص 379 – 380.

3– القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة، حققه محمد حجي وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م، ج 13 ص 233.

4 – المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للتوزيع، تونس – المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ج 3 ص 240.

5 – القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1408هـ - 1988م، ج 2 ص 228.

– ونقل عنه أنه فضّل أبا بكر، وتوقف فيما سواه، وهو مذهبه في المدونة، فقد سئل مالك –رحمه الله– عن خير الناس بعد نبيّهم ﷺ . فقال: أبو بكر. قال ابن القاسم: فقلت لمالك: فعليّ وعثمان. أيهما أفضل؟ فقال: ما أدركت أحدا ممن أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه – يعني عليا وعثمان – ويرى الكف عنهما[1].

ويفيد الإمام مالك من كلامه هذا أن التوقف في المفاضلة بين عثمان وعليّ –رضي الله عنهما– هو مذهب كثير من علماء المدينة الذين أخذ عنهم. ومال العلامة ابن أبي زمنين من أئمة المذهب إلى اختيار هذا القول[2]. واختاره كذلك فقيه تازى أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن التازي المالكي[3].

– ونقل عنه ما يوافق مشهور مذهب أهل السنة؛ في تفضيل أبي بكر ﷺ ثم عمر ﷺ ثم عثمان ﷺ ثم عليّ ﷺ[4].

ثانيا- مراتب الصحابة عند أيمة المذهب

كان لأيمة المذهب كذلك اختيارات في مراتب الصحابة ﷺ من حيث الفضل، ويجب الاعتقاد أنهم متفاوتون في الفضل فيما بينهم ﷺ بكثرة الملازمة له – صلى الله عليه وسلم – والمجاهدة معه والقرب منه، إذ ليس من رآه وفارقه كمن جاهد معه وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع[5]، وأيمة المذهب الذين فاضلوا منهم من أجمل، ومنهم من فصّل، ومنهم من أجمل ثم فصّل؛

قال أبو عمرو الداني: أفضل الصحابة هم المهاجرون معه والذابون عنه، لقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ﴾[6]. ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[7].

وأفضل المهاجرين: العشرة المعدون للجنة... وأفضل هؤلاء العشرة الأئمة الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي رضوان الله عليهم. وأفضل الأربعة: أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان ثم علي رحمة الله عليهم أجمعين[8].

– وفاضل بعضهم في نفس المهاجرين فقال: وأهل بدر أفضل في المهاجرين، والمهاجرون على قدر الهجرة والسبق.

– وأن مَن رآه ساعة أو مرة أفضل من التابعين[9].

1 – الأصبحي، أبو عبد الله مالك بن أنس بن عامر، المدونة الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1415هـ – 1994م، ج 4 ص 670.

2 – ابن أبي زمنين، أصول السنة، ص 270.

3 – الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، 1401هـ، ج 2 ص 460.

4 – ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 2 ص 228، و ج 17 ص 520.

5 – النفراوي، الفواكه الدواني، ج 1 ص 102.

6 – سورة الحديد، من الآية: 10.

7 – سورة التوبة، من الآية: 100.

8 – أبو عمرو الداني، الرسالة الوافية، ص 239.

9 – القرافي، الذخيرة، ج 13 ص 233.

– وزاد آخرون فقالوا[1]: ثم يفضل بعد العشرة بقية أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان وهم أصحاب الشجرة الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[2].

– واختار الإمام ابن عبد البر أن مَنْ مات في حياة رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الشهداء مثل حمزة، وجعفر، وسعد بن معاذ، ومصعب بن عمير، أو مات في حياته وإن لم يكن من الشهداء، كعثمان ابن مظعون الذي قال فيه رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: « **ذهبت ولم تَلَبَّس منها بشيء** »[3]، فهؤلاء أفضل ممن بقي بعدهم[4].

المبحث الثالث- الذبّ عن الآل والصحب في مصادر المذهب

الذي يستقرئ مصادر المذهب المالكي يلفته النظر إلى مواطن كثيرة تبرز فيهما مكانة آل بيت النبي ﷺ وأصحابه عند أهل المذهب، مواقف أئمة المذهب للذبّ عن الآل والصحب، وبيان منزلتهم التي يجب أن يوضعوا فيها، بل انتدب الكثير منهم محابرهم وأقلامهم لوضع تصانيف مخصوصة للذب عنهم، ثم تعدّى ذلك إلى الشعر والنظم؛ ونحن نجتهد لبيان مكانة الآل والصحب في منظور المذهب، وأبرز مواقفهم وأشهر تصانيفهم وكذا أشهر أشعارهم ومنظوماتهم في الذبّ عن الصحابة وآل البيت ﷺ.

المطلب الأول- تعظيم الآل والأصحاب في مذهب الإمام مالك

حظي آل بيت النبي ﷺ وصحبه الكرام ﷺ بمكانة رفيعة عند الإمام مالك وأيمة المذهب –رحمهم الله–، وهذا امتثالا لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ بتوقيرهم ورفع منزلتهم، وإقرارا لمذهب السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم من أهل السنة والجماعة، لأن الله ﷻ أكرم تلك الفئة بصحبة رسوله ﷺ وأفردها بالسبْق، وليس من جالسه ﷺ وخالطه وآكله وشاربه وسافر معه وغزا معه... كمن سمع به، لأنّ –كما يقول العلامة الحطّاب المالكي–:" **أن الاجتماع بالمصطفى – صلى الله عليه وسلم – في لحظة يؤثر في تنوير القلب ما لا يؤثره الاجتماع بغيره ولو طال**"[5]، وفضْل الصحبة لا يعدله فضل، وخصّ النبيّ ﷺ أصحابه بذلك اللقب دون غيرهم بقوله: « **بل أنتم أصحابي**... »[6]، قال الإمام أبو الوليد الباجي: "**يريد أن لهم مزية على إخوانه واختصاصا لصحبته، ولم ينف بذلك أن يكونوا إخوانه، وإنما منع أن يسموا بذلك لأن التسمية بذلك إنما هي على سبيل الثناء على المسمى، والمدح والترفيع من حاله، فيجب أن يسمى بأرفع حالاته، ويوصف بأفضل صفاته، وللصحابة بصحبة النبي – صلى الله عليه وسلم – درجة**

---

1 – ابن رشد، المقدمات الممهدات، ج 3 ص 391.

2 – سورة الفتح، من الآية: 18.

3 – رواه مالك في الموطأ، ج 1 ص 242، ح "55".

4 – ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 17 ص 224، والمقدمات الممهدات، ج 3 ص 392.

5 – الحطاب، مواهب الجليل، ج 1 ص 22.

6 – من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا، رواه مالك في الموطأ، ج 1 ص 28، ح "28"، ومسلم في صحيحه، كتاب الوضوء، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ج 1 ص 218، ح "249".

لا يلحقهم فيها أحد، فيجب أن يوصفوا بها، والذين لم يكونوا أتوا بعد من أنه ليست لهم درجة الصحبة فلذلك وصفهم بأنهم إخوانه جعلنا الله منهم برحمته"[1]. وقال ابن العربي: **"فأعطاهم اسْمًا هو أخصُّ من الأُخُوَّةِ وأشرَفُ منه"**[2]، وقال القاضي عياض: **"وفضيلة الصحبة لا يعْدلها عمل"**[3]، لذلك رويت عن الإمام مالك وأتباعه مواقف ومقولات تؤكد امتثالهم لأمر الله ورسوله ونصرتهم لمنهج السلف وعقيدتهم في الآل والصحْب ﷺ.

– كان الإمام مالك رحمه الله أشدّ اتباعا لمنهج الصحابة في الاعتقاد والعمل، وبنى مذهبه على هذا الأصل؛ بالتزام الاتباع وترك الابتداع، واشتهر عنه قوله في بيان منزلة عصر الصحابة ﷺ : **ولن يأتي آخر الأمة بأهدى مما كان عليه سلفها**[4]. وفي رواية: **ولم يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها**[5].

– وكانت للإمام مالك –رحمه الله– مواقف تنبئ بتوقيره لآل البيت؛ فقد روى المترجمون أنه وُشي بمالك بن أنس إلى جعفر بن سليمان فجرده وجلده، ومُدّت يده حتى انخلعت، فلما حجّ المنصور أراد أن يقتصّ لمالك من جعفر بن سليمان، فقال مالك: أعوذ بالله. والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وأنا أجعله في حل من ذلك الوقت؛ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم[6].

وقيل: لما ضرب مالك رحمه الله تعالى ونيل منه، حمل مغشياً عليه، فدخل الناس عليه فأفاق، فقال: أشهدكم إني جعلت ضاربي في حلّ. فسئل مالك عن ذلك فقال: تخوفت أن أموت أمْس فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي[7].

وقد روي أنه جُلد لأجل الصحابة ﷺ، وعفا لأجل آل البيت ﷺ، قال ابن بكير إنما ضُرب لما سعى به الطالبيون لتقديمه عثمان على عليّ –رضي الله عنهما–[8].

– ومن أمثلة توقيره لآل البيت أن محمد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكية لما طلب البيعة لنفسه استفتى الناس الإمام مالك –رحمه الله– في الخروج مع محمد وقيل له: "إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر". فقال الإمام مالك: "إنما بايعتم مكرهين وليس على كل مكره يمين". فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته[9].

---

1 – الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1332هـ، ج 1 ص 70.

2 – المعافري، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، المسالك في شرح موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد بن الحسين السّليماني وعائشة بنت الحسين السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1428هـ – 2007م، ج 2 ص 102.

3 – القاضي عياض، إكمال المعلم، ج 2 ص 49.

4 – – القيرواني، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد، النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ج 1 ص 529.

5 – ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 1 ص 242.

6 – اليحصبي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعيان مذهب الإمام مالك، تحقيق جماعة من الباحثين، مطبعة فضالة، المغرب، من 1965م إلى 1983م، ج 2 ص 131.

7 – القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 2 ص 132.

8 – اليعمري، أبو إسحاق رهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، (د ت)، ج 1 ص 131.

9 – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1407 هـ، ج 4 ص 427.

– واقتفى أئمة المذهب منهج الإمام في توقير الآل والأصحاب، ويرون أن ذلك من توقير الرسول ﷺ وبرّه؛ قال عياض: ومن توقيره وبرّه صلى الله عليه وسلم توقير أصحابه وبرهم، ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين، وجهلة الرواة، وضلال الشيعة، والمبتدعين، القادحة في أحد منهم، وأن يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات، ويخرج لهم أصوب المخارج؛ إذ هم أهل ذلك، ولا يذكر أحد منهم بسوء، ولا يغمص عليه أمر، بل نذكر حسناتهم وفضائلهم، وحميد سيرهم، ويسكت عما وراء ذلك[1].

– بل إن المتأخرين من المالكية أفتوا بأن يُعطى آل بيت رسول الله ﷺ من الزكاة إذا بلغت بهم الحاجة مبلغا كبيرا، ولا ينظر في حفدة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى يموتوا جوعا ، بل ربما كان إعطاؤهم أفضل من إعطاء غيرهم[2].

المطلب الثاني: مواقف أئمة المذهب من الطعن في الآل والصحب

تشدّد أئمة المذهب في مواقفهم من منتقصي الآل والصحب، ونقلت بعض الأقوال عن الإمام مالك اشتهرت في تصانيف المذهب، ونحا نحوه الأئمة من بعده؛

أولا: موقف إمام المذهب:

– موقفه من الطعن في آل بيته ﷺ:

– روى أبو نعيم بسنده عن أبي عروة الزبيري من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ حتى بلغ ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[3]، فقال مالك: من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية[4].

قال القرطبي: "لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله؛ فمن نقص واحداً منهم، أو طعن عليه في روايته، فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين[5].

– ويرى الإمام مالك أنّ من وجوه الطعن في آل بيت النبيّ ﷺ الانتساب إليهم ادّعاء وفرية، قال مالك: من ادعى الشرف كاذباً ضرب ضرباً و جيعاً ثم شهر و يحبس مدة طويلة حتى تظهر لنا توبته.

قال الصاوي: لأن ذلك استخفاف بحقه، وأدّب ولم يحدّ[6].

---

1 – اليحصبي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1409هـ – 1988م، ج 2 ص 53.

2 – الحطاب، مواهب الجليل، ج 2 ص 345.

3 – سورة الفتح، الآية: 29.

4 – الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن محمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة دار السعادة، مصر، ط1، 1394هـ– 1974م، ج6 ص327.

5 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16 ص 297.

6 – الصاوي، بلغة السالك، ج 4 ص 232.

– قال هشام بن عمار: سمعت مالك بن أنس يقول: من سب أبا بكر وعمر جُلد، ومن سب عائشة قُتل، قيل له: لم يقتل في عائشة؟، قال: لأن الله تعالى يقول في عائشة رضي الله عنها: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل[2].

– موقفه من الطعن في صحابته ﷺ:

– روي عن الإمام مالك أنه قال: "والذي يشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له سهم، أو قال: نصيب في الإسلام"[3].

– وروى القاضي عياض عن مالك –رحمه الله– أنه قال: من غاظه أصحاب محمد فهو كافر لقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[4].

– وروى عنه أيضا أنه قال: من شتم أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال: كانوا على ضلال وكفر، قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديدا[5].

ثانيا- موقف أيمة المذهب

كان أيمة المذهب أكثر تشددا من إمام المذهب في مسألة الطعن في آل بيت النبي ﷺ وصحبه الكرام ﷺ، ولعلّ السبب في ذلك يعود لانتشار مذاهب الرفض وذيوع صيتهم في الأمصار، إضافة إلى تولّد الكثير من الفرق الضالة وانتشارها في بلاد المسلمين، وكثير منها أسقط حرمة الآل والصحب ﷺ، ونالوا منهم في مقولاتهم، بل بعض الفقهاء تركوا أرضهم وديارهم لما شاع في بلدهم سبّ السلف[6]، فدعا ذلك الكثير من الأئمة في تشديد العقوبة في فتاويهم وأقضيتهم، وإذا نظرنا في كتب المذهب نجد أن اختيارات الأئمة أكثر وقعا على الطاعنين في الآل والصحب ﷺ، ونحن نعرض نماذج لأئمة المذهب في ذلك؛

– موقفهم من الطعن في آل بيته ﷺ:

– قال القاضي عياض في شرحه لحديث الإفك: وفيه أن من آذى النبي – عليه السلام – في نفسه أو ذويه كافر يجب قتله[7].

---

1 – سورة النور، الآية: 17.

2 – أبو الوليد الباجي، المنتقى، ج 7 ص 206، والقاضي عياض، الشفا، ج 2 ص 305، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 12 ص 205.

3 – الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون، السنة، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط1، 1410هـ، ج 3 ص 493.

4 – القاضي عياض، الشفا، ج 2 ص 54.

5 – القيرواني، النوادر والزيادات، ج 14 ص 531، والقاضي عياض، الشفا، ج 2 ص 308.

6 – حيث يذكر القاضي عياض أنّ أبا عبد الله محمد بن نظيف فقيه القيروان ومجتهدها خرج منها إلى مصر لما شاع فيها سبّ السلف –رحمهم الله–. انظر: ترتيب المدارك، ج 6 ص 206.

7 – القاضي عياض، إكمال المعلم، ج 8 ص 289.

وقال فيمن آذى أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–: فأما اليوم فمن قال ذلك في عائشة قتل لتكذيبه القرآن وكفره بذلك[1].

– أما غيرها من أزواجه فقيل يقتل قاذفها لأن ذلك أذى للنبي ﷺ ، وقيل يحدّ وينكل على قولين، وأما من سبهم بغير القذف فإنه يجلد الجلد الموجع وينكل التنكيل الشديد. قال ابن حبيب: ويخلد في السجن إلى أن يموت[2].

– واختار ابن شعبان من المالكية أن من سبّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقتل لأن سب النبي صلى الله عليه وسلم بسبِّ حليلته[3].

– وقد أقام الحدّ الإمام الحارث بن مسكين المالكي على من سبّ عائشة لما تولى القضاء بمصر[4].

– وقال عبد الملك بن حبيب فيمن غلا في عليّ ﷺ وتجاوز فيه إلى الإلحاد فزعم أن عليا رفع، ولم يمت وسينزل إلى الأرض، وأنه دابة الأرض ومنهم من قال كان الوحي يأتيه وبعده ذريته مفترضة طاعتهم ونحوه من الإلحاد فهذا كفر يستتاب قائله ويقتل إن لم يتب[5].

– وقال القاضي أبو بكر بن العربي: إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة، فبرأها الله، فكل من سبّها بما برأها الله منه فهو مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر. فهذا طريق قول مالك. وهي سبيل لائحة لأهل البصائر[6].

– موقفهم من الطعن في صحابته ﷺ:

– قال سحنون: من كذّب الخلفاء الأربعة فهو مرتدّ. قال الصاوي: وعوّل أشياخنا على هذا القول[7].

ونقل عنه أنه قال فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد[8].

– وقال عبد الملك بن حبيب: "من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدباً شديداً، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشدّ، ويكرر ضربه، ويطال سجنه حتى يموت، ولا يبلغ به القتل، إلا في سب النبي –صلى الله عليه وسلم–"[9].

– وقال القاضي عياض: وسب أصحاب النبي – عليه السلام – وتنقصهم أو أحد منهم من الكبائر المحرمة[10].

---

1 – القاضي عياض، إكمال المعلم، ج 8 ص 289.

2 – الحطاب، مواهب الجليل، ج 6 ص 286، وعليش، منح الجليل، ج 9 ص 243.

3 – القاضي عياض، الشفا، ج 2 ص 311، وعليش، منح الجليل، ج 9 ص 243.

4 – الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ج 5 ص 1107.

5 – الباجي، المنتقى شرح الموطأ، ج 7 ص 205.

6 – المعافري، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1424هـ – 2003م، ج 3 ص 366.

7 – الصاوي، بلغة السالك، ج 4 ص 231.

8 – القيرواني، النوادر والزيادات، ج 14 ص 531، وعليش، منح الجليل، ج 9 ص 244.

9 – القاضي عياض، الشفا، ج 2 ص 309.

10 – القاضي عياض، إكمال المعلم، ج 7 ص 580.

– قال بعض المتأخرين من المالكية: من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله تعالى، وليس ذلك لسائر الصحابة[1].

– قال القرطبي: قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب مبتدع.

ومن أنكر أن يكون أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر، لأنه رد نص القرآن[2].

– بل خصّهم بعض فقهاء المذهب بأحكام في الفقه لا تكون لغيرهم؛ قال ابن شعبان: إن من قذف أم أحدهم –أي الصحابة– وهي كافرة حُدّ حدّ الفرية لأنه سبٌّ له، وإن كانت أمه مسلمة، حدّ عند بعض أصحابنا حدّين؛ حداً له وحداً لأمّه. قال: ولا يثبت هذا الحقّ لغيرهم لحرمة هؤلاء بينهم[3].

– وللعلامة أحمد زرّوق البرنسي الفاسي نقْض مبْهت لمنتقصي الصحابة ﷺ من الروافض ومَن نحا نحوهم، قال في شرحه على الرسالة: "اليهود والنصارى أحسن حالا من الروافض وإن كانوا مسلمين؛ لأنه لو قيل ليهودي: مَن أفضل الناس؟ قال: موسى، فإذا قيل: مَن أفضل الناس بعده؟ قال: نقباؤه. ولو قيل للنصراني: مَن أفضل الناس؟ قال: عيسى، فإذا قيل له: مَن بعده في الفضل؟ قال: حواريوه. ولو قيل لرافضي: مَن أفضل الناس؟ قال: محمد ﷺ، فإذا قيل له: مَن شرّ الناس بعد موته؟ قال: أصحابه. فقبّح الله رأيهم فيما أتوا من ذلك"[4].

المبحث الرابع- التراث المالكي المفْرد في الذبّ عن الآل والصحب ﷺ

برغم ما أسْبقناه من أقوال ومواقف أيمة المذهب في الذب عن الآل والصحْب ﷺ في مختلف مصادرهم؛ من كتب التراجم والسير والجوامع الفقهية والحديثية والعقدية، إلاّ أن ذلك لم يكن كافيا عند كثير منهم، لأن منزلة الآل والأصحاب ﷺ تستحقّ أكثر من ذلك، ولعلّ أيمة مذهب الإمام مالك كانوا سبّاقين منذ عصور التدوين الأولى في إفراد مصنفات مخصوصة للذبّ عن الآل والأصحاب ﷺ، وقد تنوّعت هذه المصنفات بين مفردات مخصوصة للذبّ عن الآل ﷺ، وبين مفردات مخصوصة للذبّ عن الصحب ﷺ، وبين جوامع للذبّ عنهم جميعا، ولم تقتصر جهودهم على التصنيف بل تعدّت إلى الذبّ عنهم في الشعر والنظم، ونظرا لكثرة ما وقفنا عليه من ذلك سنقتصر على أهمّ ذلك وأشهره وأجوده.

---

1 – الأندلسي، أبو حيان أثير الدين محمد بن علي بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق محمد صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420هـ، ج 5 ص 421، وانظر: الخرشي، شرح مختصر خليل، ج 8 ص 74.

2 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8 ص 146، وانظر الخرشي، شرح مختصر خليل، ج 8 ص 74.

3 – الجندي، أبو المودة خليل بن إسحاق، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 1429هـ – 2008م، ج 8 ص 271.

4 – البرنسي، أحمد بن محمد التازي الفاسي العروف بـ"زرّوق"، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1427هـ – 2006م، ص 85 – 86.

المطلب الأول- الذب عن الآل والصحب ﷺ في التصانيف المفردة

- فضل الصحابة ومصابيح الهدى، لأبي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي القرطبي (ت 238هـ)، ولعلّه أقدم تصنيف مخصوص في فضائل الصحابة ﷺ[1].
- فضائل أهل البيت، لأبي محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان (ت371هـ)[2].
- المصابيح في فضائل الصحابة، لأبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس، قاضي الجماعة بقرطبة (ت402هـ)، ألفه في مائة جزءا[3].
- الإخوة من أهل العلم، الصحابة ومن بعدهم، لابن فطيس كذلك، في أربعين جزءا[4].
- فضائل الأنصار، لأبي الوليد يونس بن عبد الله الصفار القرطبي (429هـ)[5].
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبر البر النمري القرطبي (ت463هـ)، وهو أبرز كتاب يصنف في الصحابة وأجمعها في زمانه وبعده بقرون، جمع فيه أخبار وفضائل الصحابة ﷺ، قال عنه الإمام ابن حزم الظاهري: "ليس لأحد من المتقدمين قبله مثله، على كثرة ما صنفوا في ذلك"[6]. واهتمّ به العلماء بعده من مختصر ومذيّل ومستدرك ومكمّل.
- فضائل الصحابة، لأبي محمد عبد الله بن يحي التوزري الشقراطيسي (ت466)[7].
- ظل الغمامة في مناقب بعض الصحابة، لأبي عبد الله بن أبي الخصال الغافقي (ت540هـ)[8].
- مناقب العشرة وعمّيْ رسول الله ﷺ، لأبي الخصال كذلك.
- العواصم من القواصم، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت543هـ)، وهو كتاب ذائع الصيت والشهرة في الذبّ عن الصحابة وما وقع بينهم من الخلاف والفتن.
- مناقب السبطيْن الحسن والحسيْن، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي ثم التلمساني (ت610هـ)[9].
- المجالس في فضائل الخلفاء الأربعة، لأبي القاسم الملاحي الغرناطي (.619هـ)[10].

---

1 - الأزدي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1408هـ - 1988م، ج 1 ص 313.

2 - القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 6 ص 253.

3 - ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1374هـ - 1955م، ص 300، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج 9 ص 44.

4 - الذهبي، المصدر نفسه.

5 - القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 8 ص 19.

6 - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10 ص 199.

7 - مخلوف، محمد بن عمر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، بيروت، د ت، ص 117.

8 - الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م، ج 7 ص 95.

9 - القضاعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م، ج 2 ص 102 - 103.

10 - الزركلي، الأعلام، ج 6 ص 255.

- ميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في ذكر الصحابة الأكرمين ومن في عدادهم بإدراك العهد الكريم من أكابر التابعين، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي البلنسي (ت634هـ)، قال عنه القضاعي: "لم يكمله ولو فرغ منه لكان ضعف الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر"[1].
- نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر، لأبي عبد الله محمد بن علي بن خضر بن هارون الغساني المالقي (ت636هـ)[2].
- نزهة الأبصار في نسب الأنصار، لأبي بكر عتيق بن أحمد بن محمد الغساني الغرناطي (ت698هـ)[3].
- جلاء الأفكار في مناقب الأنصار، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي الأسيدي القيرواني (ت699هـ)[4].
- نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام، لأبي عبد الله محمد بن أبي غالب المكناسي المعروف بابن السكّاك (ت 818هـ)[5].
- إظهار المنة على المبشرين بالجنة، لأبي سالم عبد الله بن محمد العياشي صاحب الرحلة الشهيرة (ت1090هـ)[6].
- الثمار المهتصرة في مناقب العشرة، لأبي العباس أحمد بن قاسم البوني الجزائري (ت1139هـ)[7].
- إشراق البدر في أهل بدر، لأبي العباس أحمد بن علي البوسعيدي الهشتوكي (ت1046هـ)، ذكر فيه الصحابة البدريين وتراجمهم[8].
- الانتصار لآل النبي المختار ﷺ، لعبد الكبير بن محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت1333هـ)[9].

هذا أشهر ما وقفنا عليه ببحثنا القاصر عن التواليف المفردة في فضل الصحابة والذب عنهم ﷺ.

وإليك نموذجا من تلك التآليف:

قال ابن عبد البر –رحمه الله–: "فإن أولى ما نظر فيه الطالب، وعني به العالم- بعد كتاب الله عز وجل- سنن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير

1 – القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، ج 4 ص 101.
2 – القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، ج 2 ص 139 – 140.
3 – الغرناطي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بلسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، ج 4 ص 61.
4 – الزركلي، الأعلام، ج 3 ص 329.
5 – الزركلي، الأعلام، ج 6 ص 324.
6 – الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1982م، ج 2 ص 834.
7 – الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1 ص 237.
8 – الزركلي، الأعلام، ج 1 ص 181.
9 – الزركلي، الأعلام، ج 4 ص 50.

أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه"[1].

"ونحن وإن كان الصحابة ﷺ قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فواجب الوقوف على أسمائهم والبحث عن سيرهم وأحوالهم"[2].

المطلب الثاني- الذب عن آل البيت والصحابة في النظم والشعر

تراث المالكية كذلك حافل بالمنظومات المختلفة والأشعار التي أفردها أصحابها لبيان منازل الصحابة وآل البيت ﷺ والذب عنهم، بل أبدعوا في بعضها ونالت منازل رفيعة في مقامات النظم، وقد ظهر شعر المالكية في حبّ الصحابة وآل البيت في وقت مبكر جدا، حيث نجد في القرن الثالث الهجري قصيدة للفقيه المحدّث المؤرّخ عبد الملك بن حبيب (ت238هـ) يذكر فيها زيارته للمدينة الشريفة ولقبر النبيّ ﷺ، ثم يعرّج فيها على قبور الصحابة ويثني عليهم باكيا راثيا فيقول:

ومنزل الأنصار وسط قبابهم   بيت الهداية كاشف الغمرات
وبطيبة طابوا ونالوا رحمة   مقنى الكتاب ومحكم الآيات
وبقبر حمزة والصحابة حوله   فاضت دموع العين منهمرات
سقيا لتلك معاهدا شاهدتها   وشهدتها بالخطو واللحظات
لا زلت زوارا لقبر نبينا   ومدينة زهراء بالبركات
صلى الإله على النبي المصطفى   هادي البرية كاشف الكربات
وعلى ضجيعيه السلام مرددا   ما لاح نور الحق في الظلمات[3]

– الأرجوزة المنبهة لأبي عمرو عثمان الداني (ت444هـ)، وهي في أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات، خصّ فيها قسما في عقيدة المالكية في الصحابة وآل البيت ﷺ[4].

فيقول فيها مبيّنا معالم عقيدة المسلم السنّي فيقول:

إذا رأيتَ المرء قد أحبّا   أئمة الدين وعنهم ذبّا
وفضّل الصحابة الأبرارا   و قدم الأصهار والأنصارا
وأبغض البدعي والمخالفا   ومن تراه لهما مخالفا

---

1 – النمري، أبو عمر يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ – 1992م، ج 1 ص 2.

2 – ابن عبد البر، الاستيعاب، ج 1 ص 18 – 19.

3 – التلمساني، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388هـ، ج 1 ص 46.

4 – الأشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر، فهرسة ابن خير، تحقيق فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ – 1998م، ص 38.

فاعلم بأنه من أهل السنه فالزمه واستمسك بما قد سنه

ثم يقول في موضع آخر مبيّنا مراتب الصحابة ﷺ ووجوب حبّهم وذكرهم بالحسنى:

وحب أصحاب النبي فرض ومدحهم تزلف وقرض
وأفضل الصحابة الصديق وبعده المهذب الفاروق
وبعده عثمان ذو النورين وبعده علي أبو السبطين
وبعد هؤلاء باقي العشره الأتقياء المرتضيين البرره
أهل الخشوع والتقى والخوف طلحة و الزبير وابن عوف
ثمة سعد بعدهم وعامر ثم سعيد بن نفيل العاشر
وسائر الصحب فهم أبرار منتخبون سادة خيار
وربنا جلَّلَهم إنعامه وخصهم بالفضل والكرامه[1]

– وللإمام الأديب الرحالة أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت614هـ) وهو شيخ الحافظ المنذري، له قصيدة يفصح فيها عن عقيدته في آل البيت والصحابة الكرام ﷺ، يثني عليهم ويصرّح بحبّهم، ويرى بأن بغضهم كفرٌ فيقول:

أحب النبي المصطفى وابن عمه علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم وأطلعهم أفق الهدى انجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم وحبهم أسنى الذخائر للأخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغض فإني ارى البغضاء في حقهم كفرا
هم جاهدوا في الله حق جهاده وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا[2]

– ومن خواصّ مذهب الإمام مالك –رحمه الله– أنّ العلامة أبا العباس أحمد بن محمد المقرّي التلمساني (ت1041هـ) نظم في عقيدة المذهب منظومته الشهيرة بـ "إضاءة الدُّجنَّة في عقائد أهل السنة، ضمّن منظومته هذه قسما يبيّن فيه اعتقاد المالكية في آل البيت والصحابة ﷺ، ومراتب الصحابة ﷺ في الفضل، فمما جاء فيها:

وأفضل الأمة ذات القدر أصحاب من أعطي شرح الصدر
إذ جاء في القرآن ما يَقضي لهم بالسبْق في آيٍ حوتْ تفضيلهم
وكم أحاديث عليهم تثني كقوله خير القرون قرني

ثم يقول في أبيات أخرى:

1 – الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، الأرجوزة المنبهة، تحقيق الحسن وكاك، 1430هـ – 2009م، ص 540 – 558.

2 – المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965م، ج 2 ص 616. وانظر التلمساني، نفح الطيب، ج 2 ص 493.

والخلفاء الراشدون الأربعة خير الصحابة الألى كانوا معه
ورتّبنّ الفضل فيما بينهم على خلافة وقدّم عينهم
وهو أبو بكر وفاروق يلي وبعدُ عثمان واختم بعلي
زوج البتول بضعة الرسول من نال بالسبطيْن أقصى السّول
وبعد هؤلاء باقي العشرة طلحة والزبير زاكي النشرة
وعامر وسعد سامي الحُلى مع ابن عوف وسعيد ذي العلا
فأهل بدر ثم أهل أحد فبيعة الرضوان بعده اعدُدِ

ثم يقول في عدالتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم والتماس أحسن المخارج لهم:

والصحب كلّهم عدول خِيَرَه فمن يرد وجه اهتدا بهم يره
لأنّ مَن أحاط بالخبيّ علما حباهم صحبة النبيّ
فهم نجوم السّرى من اقتدى بهم إلى معالم الحقّ اهتدى
فلا تخضْ فيما من الأمر اختلط بينهم واحذر إذا خضت الغلطْ
والتمسنَّ أحسن المخارج لهم فالاجتهاد ذو معارج[1]

- ونختم الكلام بالقصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة –رضي الله عنها– لأبي عمران موسى بن محمد الأندلسي المعروف بابن بهيج (توفي بعد 496هـ)، ذكر فيها فضائلها وفضائل أبيها، وجادل فيها الطاعنين والخصوم بالحجة والدليل، **وقد نظمها على لسانها**، وسنذكر نموذجا منها، وهي من أروع ما يقرأ في فنها، يقول في أوّلها؛

ما شان أم المؤمنين وشاني هُدي المحبّ لها وضلّ الشّاني
إني أقول مبيّنا عن فضلها ومترجما عن قولها بلساني
يا مبغضي لا تأت قبر محمد فالبيت بيتي والمكان مكاني
إني خصصت على نساء محمد بصفاتِ برّ تحتهنّ معاني
وسبقتهنّ إلى الفضائل كلّها فالسبق سبقي والعنان عناني
مرض النبيّ ومات تحت ترائبي فاليوم يومي والزمان زماني
زوجي رسول الله لم أر غيره الله زوّجني به وحباني

ثم تذكر الطاعنين في شرفها وتبهتهم بالحجة والدليل، ثم سبق أبيها وفضله في الإسلام، ثم فضل آل البيت والصحابة ﷺ وفضل الأربعة الخلفاء ﷺ، ثم يقول في آخرها على لسانها:

يا من يلوذ بآل بيت محمد يرجو بذلك رحمة الرحمن
صِلْ أمهات المؤمنين ولا تحد عنا فتسْلب حلّة الإيمان
إني لصادقة المقال كريمة إيْ والذي ذلّت له الثقلان
خذها إليك فإنما هي روضة محفوفة بالروح والريحان

1 - المقرّي، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، إضاءة الدّجنّة في اعتقاد أهل السنّة، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ت، ص 95 وما بعدها.

صلّى الإله على النبيّ وآله فبهم تُشمّ أزاهر البستان[1]

خاتمة

الحمد لله الذي وفقني لتمام هذا العمل، أسأله تعالى أن يقوم لي كل خلل، وأن يغفر لي كل زلل؛ فبعد استقرائنا القاصر في مصادر المذهب المالكي للكشف عن منزلة آل البيت والصحابة ﷺ وكذا جهود علمائه في الذبّ عنهم فيما ينسب إليهم من الانتقاص وما يقال فيهم من الطعن والثلب، وقد تراءت لي بعض النتائج التي هي جديرة بالذكر:

- أن مفهوم الصحابي في مذهب الإمام مالك هو من اجتمع مؤمنا بمحمد ﷺ وإن لم يرو عنه ولم يطل اجتماعه به. فيدخل فيه الأعمى والصبيّ ومن لقيه ولو للحظة بشرط الموت على الإسلام.
- اتفق أئمة المذهب على أن منزلة "الصحبة" لا تعدلها منزلة في الإسلام.
- لا يختلف أيمة المذهب في أن أزواجه وذريته ﷺ هم من آله لدلالة اللغة والشريعة بذلك، كما يدخل فيه بنو هاشم لنصّه ﷺ على ذلك، ولا يختلفون كذلك أنّ ما فوق جدّه غالب بن فهر لا يعدّون من آل البيت، واختلفوا في غير ذلك على أقوال.
- واختلفوا في موالي آل البيت هل يلحقون بآل البيت أم لا؟ والراجح في المذهب أنهم يلحقون بهم.
- أدرج السادة المالكية –رحمهم الله– مسألة تعظيم الصحابة وآل البيت ﷺ ضمن مسائل الاعتقاد؛ لأنها صارت معيارا يفترق عليه أهل السنة وأهل البدعة.
- المعتمد في مذهب الإمام مالك أن الصحابة ﷺ يتفاضلون في مراتبهم بحسب سبقهم وفضلهم على الإسلام، ونُقل الوقف في المسألة عن إمام المذهب.
- اتفق أيمة المذهب على فضل الخلفاء الأربعة ثم على المبشرين العشرة، واختلفت أقوالهم فيما سوى ذلك.
- اتفق أكثر أئمة المذهب على أنّ من سبّ الصحابة ينكّل نكالا شديدا، وقال بعضهم ينكل به إلى أن يتوب أو يموت، وقال بعضهم يقتل.
- اتفق أئمة المذهب أن من رمى عائشة –رضي الله عنها– بما برأها القرآن وجب قتله. واختلفوا في غيرها من أزواجه، والراجح قتله لإيذاء النبي ﷺ.
- خصّ الكثير من أئمة المذهب مسألة الدفاع والذبّ عن الآل والأصحاب بمصنفات مفردة ألفت عبر تاريخ المذهب.
- حظيت مسألة الذبّ عن الآل والصحب ﷺ على اهتمام واسع في التراث المالكي حتى أفردت لها قصائد ومنظومات، نال بعضها شهرة كبيرة في مصادر العقيدة والشعر والأدب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

---

1 – الأندلسي، أبو عمران موسى بن محمد، القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة، تحقيق نظام يعقوبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1423هـ – 2002م، ص 42 وما بعدها.

المصادر والمراجع

1. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1374هـ - 1955م.
2. الأزدي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1408هـ - 1988م.
3. الأشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر، فهرسة ابن خير، تحقيق فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م.
4. الأصبحي، أبو عبد الله مالك بن أنس بن عامر، المدونة الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1415هـ - 1994م.
5. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن محمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة دار السعادة، مصر، ط 1، 1394هـ - 1974م.
6. الأفريقي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 4، 1414هـ.
7. الإلبيري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري المعروف بابن أبي زمنين، أصول السنة، تحقيق عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط1، 1415هـ.
8. الأندلسي، أبو حيان أثير الدين محمد بن علي بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق محمد صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420هـ.
9. الأندلسي، أبو عمران موسى بن محمد، القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة، تحقيق نظام يعقوبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1423هـ - 2002م.
10. الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1332هـ.
11. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط2، 1382هـ.
12. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة – الجزائر، ط 1، 1992م.
13. البرنسي، أحمد بن محمد التازي الفاسي العروف بـ"زرّوق"، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1427هـ - 2006م.
14. البصري، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1410هـ - 1990م.
15. التلمساني، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388هـ.
16. التونسي، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع،، تونس، 1997م.

17. الجندي، أبو المودة خليل بن إسحاق، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 1429هـ - 2008م.
18. الحطاب، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط 3، 1412 هـ - 1992م.
19. الخرشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر.
20. الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون، السنة، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط1، 1410هـ.
21. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تحقيق دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد، الكويت، ط 1، 1421هـ - 2000م.
22. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، الأرجوزة المنبهة، تحقيق الحسن وكاك، 1430هـ - 2009م.
23. الدردير، أبو البركات، الشرح الكبير على مختصر خليل (مع حاشية الدسوقي)، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ت.
24. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
25. الذهبي، أو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م.
26. الرازي، أبو الحسين أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1399 هـ - 1999 م.
27. الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (مرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة.
28. الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م.
29. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ – 2001م.
30. الصاوي، أبو العباس أحمد بن محمد، بلغة السالك لأقرب المسالك –حاشية الصاوي على الشرح الصغير للدردير، دار المعارف، د ت.
31. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1407هـ.
32. العدوي، علي الصعيدي، حاشية على شرح الخرشي على مختصر خليل، دار المعرفة، بيروت، د ت.
33. العدوي، علي الصعيدي، حاشية على كفاية الطالب الرباني، دار المعرفة، بيروت.
34. العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، 1412هـ.
35. الغرناطي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بلسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ.
36. القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، تحقيق عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1938م.

37. القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة، حققه محمد حجي وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م.
38. القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1408هـ - 1988م.
39. القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، مسائل أبي الوليد بن رشد (الجد)، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت - دار الآفاق الجديدة، المغرب.
40. القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ - 2003م.
41. القشيري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.
42. القضاعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م.
43. القيرواني، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، الرسالة، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ت.
44. القيرواني، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد، النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.
45. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1982م.
46. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكلّيات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت – لبنان، ط 1، 1419 هـ - 1998 م.
47. المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للتوزيع، تونس – المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.
48. المالكي، أبو الحسن، كفاية الطالب الرباني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق يوسف الشيخ محمد بقاعي، دار المعرفة، بيروت.
49. المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965م.
50. المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ابن سيده)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
51. المعافري، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1424هـ - 2003م.
52. المعافري، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، المسالك في شرح موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد بن

الحسين السّليماني وعائشة بنت الحسين السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1428هـ- 2007م.
53. المقرّي، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، إضاءة الدّجنّة في اعتقاد أهل السنّة، دار الفكر، بيروت، لبنان.
54. المهدوي، أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي، التنبيه على مبادئ التوجيه، تحقيق محمد بلحسان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ - 2007م.
55. النفراوي، أحمد بن غانم بن سالم بن مهنا، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م.
56. النمري، أبو عمر يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1992م.
57. النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).
58. الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، 1401هـ.
59. اليحصبي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعيان مذهب الإمام مالك، تحقيق جماعة من الباحثين، مطبعة فضالة، المغرب، من 1965م إلى 1983م.
60. اليحصبي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحي إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط1، 1419هـ - 1998م.
61. اليحصبي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1409هـ - 1988م.
62. اليعمري، أبو إسحاق رهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، (د ت).
63. عليش، أبو عبد الله محمد بن أحمد، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، 1406هـ - 1986م.
64. مخلوف، محمد بن عمر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، بيروت، د ت.